الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي – الأغواط

كلية الآداب واللغات

مـــــذكـــــــرة مـــــاستـــــــــر

تقديم الطالب : مصطـفى زغـــودي

ميدان: اللغة والأدب العربي

شعبة : دراسات أدبية

تخصص : أدب عربي قديم

الخطابة في صدر الإسلام "خطبة حجة الوداع أنموذجا"

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الصفة
عبد القادر بلغربي	أستاذ محاضر – ب	رئيسا
جلول بن شاعة	أستاذ مساعد – ب –	مشرفا ومقررا
بولرباح عثماني	أستاذ محاضر – أ –	مناقشا

السنة الجامعية :1444 / 1445 هـ - 2022 /2023 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مرَّت قاطرة البحث بكثير من العوائق، ومع ذلك حاولت أن أتخطَّاها بثبات بفضل الله ومنِّه.

إلى أبويَّ وأخوتي وأصدقائي، فلقد كانوا بمثابة العضد والسند في سبيل استكمال البحث.

ولا ينبغي أن أنسى أساتذتي ممن كان لهم الدور الأكبر في مُساندتي

ومدِّي بالمعلومات القيِّمة...

أُهدي لكم بحث تخرُّجي.....

داعيًا المولى - عزَّ وجلَّ - أن يُبارك في أعماركم، وعلمكم ويرزقكم بالخيرات.

شكر وتقدير

علَّمنا النبيُّ ﷺ أنَّ الحَمدَ والشُّكرَ للهِ تعالى يكونُ في كلِّ شيءٍ، وعلى كلِّ حالٍ، ومِن لوازِمِ شُكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ يَشكُر الإنسانُ غيرَه إذا قَدَّم إليه معروفًا. جاء في الحَديثِ عنه ﷺ: "لا يَشكُرُ اللهَ مَن لا يَشكُرُ النَّاسَ"، وكذلك حديث " من صَنَع إليكم معروفًا فكافِئوه، فإنْ لم تَجِدوا ما تكافِئونَه فادْعُوا له حتى تَرَوا أنَّكم قد كافَأْتُموه «.

ومن هذا المنطلق نحمد الله تعالى ونثني عليه بما هو أهله، هو أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، اللهم لك الحمد كله وإليك يرجع الأمر كله، أن يسرت لنا إنجاز هذا العمل المتواضع، فالفضل لله ابتداء وختاما، ومن ثم أتقدم بخالص بالشكر والتقدير إلى كل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد وساعدني من: أساتذة أجلاء، وطلبة أصدقاء وزملاء أعزاء، جزاهم الله عني خيرا الجزاء.

وأخص بالذكر الأساتذة الأفاضل، الأستاذ المشرف: جلول بن شاعة والأستاذ الدكتور: بولرباح عثماني، و الدكتور: عبد القادر بلغربي، وأشكر الصديق والرفيق الطالب: العملي عباسي، فقد كان خير معين وناصح أمين، وأشكر الإداري المجد السيد: أحمد برطال، فبارك الله فيهم ونفع بهم ويسر لهم الخير حيث كان، كما لا أنسى أعضاء اللجنة المناقشة، وطلبة دفعتي (ماستر أدب قديم-2023)وكافة أساتذة قسم، والحمد لله ربّ العالمين.

مقدمة

الحمد لله الذي هدى بكتابه القلوب، فأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأسكتت فصاحته الخطباء.

والصلاة والسلام على من مدت عليه البلاغة رواقها، وبسطت به الخطابة نطاقها، المبعوث بالآيات الباهرات والحجج، المنزل عليه قرآن عربي غير ذي عوج، سيد الخطباء، وإمام الفصحاء، رسول الهدى وإمام الندى، أبلغ من خطب وأبان، وأفصح من نطق وألان الكلام، الذي خصه مولاه بجوامع الكلم وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الحساب، وبعد:

يكفي الخطابة رفعة أنها وظيفة الأنبياء والمرسلين، والملوك وسادة القوم والرجال الدين، فإن العلوم إنما تشرف بشرف غاياتها، ولأن غايتها هداية الخلق للخير وحقائق ومعالي الأمور، وتبيين لهم الزيف والأباطيل والشرور، ويجلي ذلك، أنها تدخل في شتى الصناعات والفنون، وحاجة الناس لها على اختلاف الأزمنة ومر العصور، مهما تعددت مداركم ومشاربهم، وتنوعت ثقافتهم وتمايزت ألوانهم، فهي تاج العلوم، ولسانها الُمدل بها.

وقد قيل: إن العرب كانوا يفضلون الشعر على الخطابة قبل الإسلام، فلما كثر الشعراء واتخذوا الشعر مكسبة، وتسرعوا إلى أغراض الناس، صارت مكانة الخطيب عندهم فوق الشاعر.

كما أن هناك اتفاق شبه كلي بين النقاد، أن للخطابة بين أجناس الأدب وفنونه، اليد الطولى والمكانة الأولى، فهي أرقى أنوع الخطاب النثري، وأجل أقسامه الشفوي، مع الاقرار كذلك بأهمية الشعر.

وليس من الصعب أن نرى ازدهار الخطابة بعد ظهور الإسلام، حيث جعلها كوسيلة فعالة لنشر دعوته وتعاليه، وفرض أركانه وتشارعيه، فقد كان من الضروري أن تصطبغ الخطابة بصبغته، وتتدثر بعباءته، وذلك حين استمدت نورها من معين الوحيين، فتشربت بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فأثرت في النفوس واستمالت القلوب، حتى أخضعتها لعلام الغيوب.

وإذا كانت الخطابة لها هذا الأثر العظيم في حياة الأفراد والأمم والجماعات، فهي جديرة بأن تدرس، لما لها من الأهمية بمكان، جاء بحثنا موسوما بعنوان: الخطابة في صدر الإسلام (خطبة حجة الوداع أنموذجا).

وكان اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب ذاتية وموضوعية، فأما الذاتية فتلخصت في: الرغبة الشخصية وحب الاطلاع على الدراسات الأدبية الإسلامية خصوصا، وتراث العربي عموما، وتشجيع الأستاذ المشرف

وأما الأسباب الموضوعية فتمثلت في: بروزها كوسيلة هامة للدعوة في صدر الإسلام، جمالية الموضوع وقوة تأثيره، حيث تحوي الخطابة جانب كبير من الفصاحة وجمال الأسلوب وقوة الحجة.

التعرف على الخطابة وتعريفها زمن النبوة، حيث بلغت أقصى مداها وأبلغ تأثيرها، في مختلف جوانب الحياة.

ومما سبق ذكره، نطرح إشكالية الأتية:

إلى أي حد استطاعت الخطبة النبوية، تجاوز الخطبة الجاهلية في بنائها كنموذج خطابي أسلوبا ودلالة ؟

وللإجابة على هذه الإشكالية، ارتأينا أن نقسم بحثنا إلى: مقدمة ومدخل وفصلين، نظري وتطبيقي، حيث بدأنا بتعريف ماهية الخطابة وتاريخ نشأتها في مدخل، ثم قسمنا الفصل الأول إلى شقين، شق ذكرنا فيه الخطابة في جاهلية وتعرفنا على أشهر روادها وعرضنا نماذج عنها، وشق يدرس الخطابة في صدر الإسلام، وبلاغة وخطابة النبي صل الله عليه وسلم، وأنواع الخطب وخصائصها

أما الفصل الثاني: فكان عبارة عن تطبيق لأهم الخصائص ومميزات خطبة حجة الوداع كنموذج لدراستنا، ثم خاتمة تبرز أهم نتائج هذا البحث.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج المتكامل، حيث انطلقنا من المنهج التاريخي، مرورا بالمنهج الاستقرائي، ووصولا إلى المنهج الاستنباطي.

ومما وقفنا عليه في الموضوع الخطابة من دراسات سابقة ساعدتنا في إنجاز بحثنا ما يلي:

- **الخطابة لأرسطو، ترجمة إبراهيم سلامة.**
- **تاريخ الخطابة عند اليونان والعرب، عبد القادر شاكر.**
- **السيرة النبوية، لابن هشام.**
- **الخطابة الإسلامية، عبد العاطي محمد شلبي، عبد المعطي عبد المقصود.**
- **الخطاب الإسلامي وآثره في المتلقي (خطبة حجة الوداع وفتح مكة أنموذجا) يحي زرقة، محمد عزلاوي.**

وقد عضدت هذه الدراسة مجموعة من المصادر والمراجع، من أهمها:

- البيان والتبيين، الجاحظ.
- الفن مذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف.
- جمهرة خطب العرب في العصور الزاهية، أحمد زكي صفوت.
- الخطابة واعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلبي.

أما عن صعوبات التي اعترضتنا في طريق إنجاز في موضوعنا فتمثلت في: _قلة المصادر والمراجع لا سيما المراجع التي تدرس الخطابة من جانبها الأدبي بدراسة شمولية مستفيضة، غير الجانب التاريخي التقليدي البحت، كذلك قلة الدراسات العليا في هذا الباب (أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجيستر)، حسب ما طلعنا عليه.

_ضيق الوقت _الارتباط بالعمل ومسؤوليات الوظيفة، فأدى إلى تشتتنا بين العمل والدراسة.

وفي الأخير أتوجه بخالص الشكر والتقدير وعرفان الجميل، للأستاذ المشرف: جلول بن شاعة، الذي رافق هذا البحث، كما أتوجه بالشكر الجزيل، لأعضاء اللجنة المناقشة، التي درست وناقشت وتابعت هذا العمل حتى تصوبه.

مدخل

تمهيد.

1. **الخطابة.**

1-1 لغة.

2-1 اصطلاحا.

3-1 تعريف الخطيب

2. **تاريخ الخطابة (نشأتها عند اليونان والرومان)**

تمهيـــد:

استعمل الانسان الخطابة منذ خلق، فالجنس البشري بطبعه الاجتماعي التكلم والمعاشرة فيما بينهم، فهو مدني بفطرته، فالخطابة إذا موجودة قدم وجود الانسان على الأرض.

وتعد الخطابة جنس من الأجناس الأدبية النثرية الهامة التي تعتمد على المشافهة ، وذلك بالتأثير البالغ في نفوس متلقيها و استمالة القلوب بأساليب والحجج والاقناع ، و يرجع الأمر إلى براعة الخطيب وحدقه ، وقد عرفت الخطابة لدى العرب منذ الجاهلية، وإن كانت لم تحظ بالقدر ذاته الذي حظي بها الشعر الجاهلي حينها، ثم جاء الإسلام فزادها نصاعة و رونقا ، واهتم بها حتى صارت من أهم وسائل الدعوة ولسانها المؤثر المبين لنشر الإسلام وتعاليمه ، وصُبغة بصبغة القرآن والحديث النبوي الشريف ، وترتكز الخطابة على محاور رئيسة هي : مشافهة ، والجمهور المتلقي لها ، والاقناع والاستمالة .

أما الاقناع والاستمالة فهي أدوات يحب على الخطيب أن يمتلكها ويتمكن فيها ، فيكون ماهر حدقً في خطبته ، بارع الوصف في شرح كلامه و ربط عبارته ، مجيد الانتقاء ، حسن التخلص من المآزق ، واضح الأفكار شديد الاقتدار في ما يبسط طرحه وعرضه ، وكل ذلك حتى يقنع جمهوره بما يعتقده ، ويسلكهم على مسلكه فيأثر فيهم ، لتهدأ النفوس إلى كلامه ويبسط فيهم السكينة ،أو يهيجهم لينتبهوا إليه ويشعل فيهم الإثارة والحماس ، فلا بد إذا للخطيب أن يمسك بزمام الأمور حتى يصرف جمهوره لما يقول ، فيصول فيهم بلسانه ويجول ، ويستميل له المستمعين كيف ما أراد وأن شاء، وهذا ما يدعى فن الخطابة .

1. الخطابة:

1-1 الخطابة في اللغة:

كلمة الخطابة اشتقاق من مادة (خ ط ب) ولها معان متعددة في المعاجم اللغة، جاء في لسان العرب: " خطب: الخَطْبُ: الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم؛ وَقِيلَ: هُوَ سَبَبُ الأَمْر. يُقَالُ: مَا خَطْبُك؟ أَي مَا أَمرُكَ؟ وَتَقُولُ: هَذَا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يَسير. والخَطْبُ: الأَمر الَّذِي تَقَع فِيهِ المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَلَّ الخَطْبُ أَي عَظُم الأَمرُ والشأْن. وَفِي حَدِيثِ " [1].

وورد في معجم المنجد: " خطاب جمع خطابات: كلام يوجه إلى الجمهور من المستمعين في مناسبة من المناسبات " [2].

ويقول الزمخشري" خطابه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، واختطب القوم فلان: دعوه إلى أن يخطب إليهم، ومن المجاز: فلان يخطب عمل كذا: يطلبه.

وقد أخطبك الصيد فارمه، أي أكثبك وأمكنك وأخطبك الأمر، وهو أمر مخطب، ومعناه أطلبك من طلبت إليه حاجة فأطلبني.

وما خطبك: ما شأنك الذي تخطبه، ومنه هذا خطب يسير، وخطب جليل، وهو يقاسي خطوب الدهر"[3].

[1] أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم ابن منظور، 1414، لسان العرب، مج 1، ط 3، دار صادر، بيروت – لبنان، ص 79.

[2] علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، لبنان – بيروت، ط 1، 2000 م، ص 396.

[3] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، ط 1، 1996، ص 220.

وقال الخليل: " والخُطبة :مصدر الخطيب .وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخِطبة قام في النادي فقال :خطْبٌ، ومن أراده قال :نكح. وجمع الخطيب خُطَباء [1] .

وقيل أيضا: " خطُبَ يَخطُب، خَطابَةً، فهو خَطِيب، خطُب فلانٌ: صار خطِيبًا، كان بارعًا في الخَطَابة، حذق فنَّ البلاغة فخطُب " [2].

وقد ورد لفظ الخِطاب في محكم التنزيل، عند قوله تعالى: ﴿ **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ** ﴾ [3].

يقول الثعالبي في تفسيره لهذا الموضع " والذَّي يُعْطِيهِ اللفظُ أنَّه آتاه فَصْلَ الخطابِ، بمعنى أنَّه إذا خَاطَبَ في نَازِلةٍ، فَصَلَ المعنى وأوْضَحَهُ، لا يأْخذُهُ في ذلك حَصَرٌ وَلا ضعف"[4].

قال السمعاني " وَقَوله: (وَفصل الْخطاب) فِيهِ أَقْوَال:

أَحدهَا: الْبَيِّنَة على الْمُدَّعِي، وَالْيَمِين على من أنكر، وَهُوَ فصل الْخطاب، وَهَذَا قَول مَشْهُور ومعروف.

وَالْقَوْل الثَّانِي: أَن فصل الْخطاب هُوَ الْبَيَان الْفَاصِل بَين الْحق وَالْبَاطِل.

[1] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الزمخشري، كتاب العين، مج 4، دار ومكتبة الهلال، ص222.

[2] أحمد مختار عبد الحميد عمر، 1429هـ – 2008 م، كتاب معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، ص 659.

[3] سورة (ص) / 19.

[4] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 1418 هـ، ج 5، ص 61.

الْقَوْل الثَّالِث :أَن مَعْنَاهُ: أما بعد، ذكره الشّعبِيّ، وَإِنَّمَا سمي :أما بعد فصل الْخطاب؛ لِأَن الْإِنْسَان يذكر الله وَيَحْمَدهُ، فَإِذا شرع فِي كَلَام آخر قَالَ :أما بعد، فقد كَانَ كَذَا،

وَكَانَ كَذَا "[1] .

وقال الشَّعْبِيُّ: " سمعت زِيادًا يقول: فصل الخطاب الذي أُعْطِيَ داودُ عليه السّلام:

" أمّا بَعْدُ "، قيل: وهو أول من قالها.

وإنما قيل لها: فصل الخطاب لأن الكلام يُسْتَفْتَحُ بحمد اللَّه، ثم يقال: أما بَعْدُ، فالأمر كذا وكذا، فقد فَصَلَتْ بين ذِكْرِ اللَّهِ وبين الأمر الذي قَصَدْتَ، هكذا في الكتب يقال: مِنْ فلانٍ إلى فلانٍ، سلامٌ عليك، أمّا بَعْدُ، فكذا وكذا، ومنه قول القائل: فلانٌ ليس له أَصْلٌ ولا فَصْلٌ، فالأصل: النسب المعروف، والفصل: اللسان الذي يفصل بين الحق والباطل " [2].

وقال الطبري: " أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب " [3].

[1] أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني، تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غني، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط 1، 1418 هـ - 1997 م، مج 4، ص 430 – 431.

[2] أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي ابن الأحنف اليمني، البستان في إعراب مشكلات القرآن، تح: أحمد محمد عبد الرحمن الجندي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1439 هـ – 2018 م، مج 2، ص 306.

[3] أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - عبد السند حسن يمامة، دار هجر، ط 1، 1422 هـ – 2021 م، مج 20، ص 52.

1-2 الخطابة في الاصطلاح:

بعد ذكر التعريفات اللغوية التي تشير إلى مدلول كلمة الخطابة وكذلك وجود اللفظة في محكم التنزيل وبسط شرحها من قبل المفسرين، نتوجه إلى المدلول الخطابة في معناها الاصطلاحي.

يقول ابن وهب «الخطبة الكلام المخطوب به، والخطابة والخطاب اشتقا من الخطب والمخاطبة لأنهما مسموعان " [1] .

وعند أرسطو " الخطابة قوة أو ملكة نستطيع أن نكتشف بها على وجه نظري أو تأملي ما، يمكن أن يكون شأنه الإقناع كل حالة على حدة ".

كما يعدها الخطابة قوة وظيفة تختص بذاتها، ولا توجد في باقي الفنون.

حيث يقول : " لا توجد هذه الوظيفة في أي فن من الفنون الصناعية غيرها ، إذ سائر الفنون تكون كل فن في موضوعه الخاص مختصة بالتعليم والاقناع ، مثلا : يختص الطب بأحوال الصحة والمرض ، والهندسة بتغيرات المقادير ... وهكذا سائر الفنون والعلوم الأخرى ، ولكن من الجائز أن نقول : إن الخطابة يبدو من أمرها أنها قوة بها نكتشف نظريا المقنع في كل أمر معطى ... ،وقد يحصل الإقناع بالسمات والطباع متى

[1] أبو إسحاق بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب – مطبعة الرسالة، القاهرة – مصر، 1389 هـ – 1969 م، ص 151.

كان الخطاب من شأنه وطبيعته أن يجعل الخطيب أهلا لأن يصدق ، لأن شرفاء الناس يوحون لنا بأعظم ثقة و أسرها في جميع المسائل بوجه عام " [1].

ويعد الطاهر بن عاشور الخطابة فنا من فنون الإنشاء مقررا بضوابطه وشروطه، يقول:

«إن الخطابة وإن كانت فنًّا من فنون الإنشاء، وكانت القواعدُ المتقدمة والشروط المقررةُ مطردةً فيها لا محالة، غيرَ أنَّ صاحبها لما كان أشدَّ اعتمادًا على البَداهة والارتجال منه على الكتابة، تعيَّن أن يُذكَر لها من الضوابط والشروط ما لا يجري مثله في عموم صناعة الإنشاء، كما كان للشعر من الضوابط ما يختصُّ به عن الإنشاء، وإن كان هو في الأصل فنًّا من أفانينه " [2].

ثم يخلص إلى تعريف جامع للخطابة فيقول:

" فيمكن أن نعرِّفها بأنها: كلامٌ يحاوَلُ به إقناعُ أصناف السامعين بصحَّة غَرَضٍ يقصِدُه المتكلِّم لفِعْلِه أو الانفعالِ به " [3] .

[1] أرسطو طَالِيس، الخطابة، تر: عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، دار البيضاء – المغرب، 2008، ص 15.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور، أصول الإنشاء والخطابة، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط 1، 1433 هـ، ص 117.

[3] نفسه، ص 118.

لقد جاءت عدة تعريفات للخطابة في معناها الاصطلاحي، من بينها:

ما ذكره محمد الخضر حسين في كتابه (الخطابة عند العرب)، حيث ربط الخطابة بالغاية منها، قال: " شرُف العلومُ والصنائع بمقدار ما تشرُف غاياتها.

وللخَطَابة غايةٌ ذاتُ شأنٍ خطيرٍ، وهي إرشاد الناس إلى الحقائق، وتشويقِهم إلى ما ينفعهم في هذه الحياة [1].

وبعضهم عرفها، وأعطى لها شروطا وأُسس تُبنى عليها، وشورطا يجب توفرها، حتى يمكن أن تسمى خطابة، وكذلك حتى تتمايز عن غيرها من فنون النثر، حيث قالوا:

" هي فن مشافهة الجمهور واقناعه واستمالته.

لا بد من مشافهة، وإلا كانت كتابة أو شعراً مدوناً.

ولا بد من جمهور يستمع، وإلا كان الكلام حديثا أو وصية.

ولا بد من الإقناع، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين، ويؤيده بالبراهين، ليعتقدوه كما اعتقده.

فإذا أساس الخطابة: مشافهة، وجمهور، وإقناع، واستمالة "[2].

[1] محمد الخضر حسين، الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط 1، 1433 هـ، م ص 178.

[2] الحوفي أحمد محمد، فن الخطابة، نهضة مصر، ص 5.

ومن نحى هذا النحو من المعاصرين في تعريفه للخطابة، أنها فن كلامي غرضه الاقناع والتأثير: محمد صالح الشنطي، صاحب كتاب (فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه) حيث يعرفها بـ أنها: " فن من فنون الكلام غايته إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيهم، بصواب قضية أو بخطأ أخرى، وبلوغ موضع الاهتمام من عقولهم وموضع التأثير في وجدانهم" [1].

وعد عبد العاطي محمد شلبي الخطابة، ضرورة لا يمكن أن لأي فن نثري أن يغني مجالها، وفي هذا الموضع قال «من فنون النثر الأدبي، فنٌّ لساني يلقى على جمهور السامعين، وهذا الفن النثري هو الخطابة، وللخطابة مجالاتها التي لا يمكن لأي فن أدبي آخر أن يغني عنها بحكم طبيعتها التي تلازمها على مدى العصور[2].

1-3 تعريف الخطيب:

" إن الخطيب يرشد السامع إلى ما يحتاج إليه، من أمور دينه ودنياه، ويقيم له مراسيم لتقويم عيشه والاستعداد إلى معاده " [3] .

3 – تاريخ الخطابة (نشأتها عند اليونان والرومان)

توطئة: الخطابة قديمة العهد والاستعداد لها مخلوق مع الإنسان، إذ لا غنى للإنسان عن الإبانة والتعبير لغيره عما يدور في خلده وضميره من معان وأفكار، وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه.

[1] محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، دار الأندلس، حائل – السعودية، ط 5، 1422 هـ - 2001 م، ص 225.

[2] عبد العاطي محمد شلبي، عبد المعطي عبد المقصود، الخطابة الإسلامية، المكتب الجامعي الحديث، 2006، ص 11.

[3] أبو زهرة محمد، الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب مطبعة العلوم، ط 1، 1353 هـ -1934 م، ص 16_ 17.

وقد كان للأنبياء والمرسلين –عليهم الصلاة والسلام– في الخطابة الحظ الأوفى والمقام الأعلى، فكل واحد منهم –عليهم الصلاة والسلام– كان داعية خطيبا إلى توحيد الله تعالى وطاعته وتقواه، وإرشاد الناس إلى طريق الخير وطريق الشر، بحيث من سار في طريق الخير سعد ونجى، ومن سار في طريق الشر هلك وشقي، كما قال رب العالمين سبحانه:

(فَمَنِ إِتَّبَعَ هُدايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنَ اَعْرَضَ عَن ذِكْرِے فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَة ضَنكا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ أَعْمِى)[1] .

وهكذا كان كل نبي من لدن آدم إلى محمد –صلى الله عليهم وسلم– كانوا أجمعون يقومون في أقوامهم دعاة خطباء، يدلونهم على الله وما يقربهم منه ويوصلهم إلى طاعته، ويبينون لهم الثمرات الطيبة التي تنعكس عليهم من جراء التوحيد والطاعة في الدنيا والآخرة، كما يبينون لهم الآثار السيئة والعواقب الوخيمة –التي تنتظرهم وتحل بساحتهم– إن أقاموا على التكذيب والجحود والكفران، وأصروا على التمرد والعصيان، كما أخبر الله –عز وجل– عنهم في كتابه الكريم، وأطلعنا على ذلك نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم.

وقد بقي من آثار الخطابة على طول الأمد خطب التوراة التي قام بها الأنبياء –عليهم السلام– إلى بني إسرائيل؛ ليحملوهم على الاستقامة ويردوهم عن الشر والغواية [2].

---

[1] سورة طه / 122.

[2] ينظر: مناهج جامعة المدينة العالمية، الخطابة، ا المرحلة: بكالوريوس، الناشر: جامعة المدينة العالمية، المملكة العربية السعودية، كود المادة: LARB ٤٢٢٤، ص 14، تاريخ الدخول إلى الموقع 2023/04/20، الساعة 11:18 صباحا، عنون الموقع ./https://dorar.net

أول من كتب في هذا العلم اليونان، بل هم مستنبطو قواعده ومشيدو أركانه ومقيمو بنيانه؛ وذلك لأن أهل "أثينا "في عصر "بركليس "قويت فيهم رغبة القول واشتدت فيهم داعيته، إذ صار يأسرهم القول البليغ دون سواه.

قال "شارل": "امتازت أثينا أولا ببلاغة خطبائها، فكانت حقا بلد الأدب وحسن الإلقاء، فبالخطب في مجلس الأمة يقرر شهر الحروب وعقد السلم ... وكل الشئون العظيمة، وبالخطب التي تلقى في المحاكم يحكم على الوطنيين والرعايا أو يبرئون، فللخطباء السلطة وعلى الأمة أن تعمل بنصائحهم ومواعظهم، وربما عهدت إليهم بإدارة شئون المملكة، فقد عين "كاليون" قائدا ورأس "ديموستين" الخطيب حرب "فيليب".

وإذا كان التسابق البياني وصل إلى ذلك الحد، فلا عجب إذا رأينا أن من لم يكن قديرا على فنون القول يحاول أن يتعلمها، ولذا اتجه الناس إلى تعلم الخطابة والتدريب عليها، والتمرين على الإلقاء وتعويد اللسان النطق الصحيح والبيان الفصيح[1].

ويرجع تاريخ علم الخطابة بالتحديد إلى القرن الخامس قبل الميلاد في الإغريق، عندما سلبت الحكومة ممتلكات الشعب بقوة، حتى ظهر احتجاج من الجماهير، وعقدت المحاكمة، فعند ذلك طلب الجمهور من أحد رجاله كورك (Corax)بالخطبة أمام هذه المحكمة بالخطبة الممتازة أعجبت الجماهير، فاشتهرت هذه الخطبة.

[1] ينظر: الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ص 4 _ 5.

وهو أول من ابتكر فن الخطابة، ثم طورها أحد تلاميذه تيسياس (Tisias) وأخيرا قام بترتيبها أرسطو وألف كتاب منهجيا مفصلا في فن الخطابة سمها (الخطابة) .

وأما شأن الخطابة في العصر الروماني فله نشاط جيد أيضا، فقد فُتحت المدارس في مدينة روما وغيرها منذ القرن الأول الميلادي، حيث تدرس مادة الخطابة، ويتمرن التلاميذ في هذه المدارس على الخطابة.

وأعظم الخطباء في العصر الروماني " شيشرون " Cisero ، وله عدة مؤلفات في علم الخطابة.

ثم يأتي الكلام عن تاريخ الخطابة عند العرب، بداية من العصر الجاهلي الذي يعتبر نقطة لانطلاق الخطابة في صدر الإسلام، مطابقا مع التسلسل التاريخي والزمني [1] .

[1] ينظر: الحاج عين الحق، نووي، مدخل في علم الخطابة، 2017، ص 13 _ 14.

الفصل الأول

1. **الخطابة قبل الاسلام.**

1-1 الخطابة قبل الاسلام.

2-1 نماذج من خطب الجاهلية

3-1 أشهر خطباء الجاهلية

2. **الخطابة في صدر الإسلام**

2-1 الخطابة في الإسلام

2-2 بلاغة وخطابة النبي صل الله عليه وسلم

2-3 شجاعته في المعارك وثباته صل الله عليه وسلم

3. **أنواع الخطابة وخصائصها**

3-1 أنواعها(دينية، الجهاد، النكاح، الوفود، سياسية)

3-2 خصائصها(اللفظية، المعنوية)

1. 1 الخطابة قبل الإسلام:

كان هذا النوع الأدبي معروفا عند العرب في زمن الجاهلية ، ولما جاء الإسلام توسع هدفه واتسع مجاله لما أضفاه هذا الدين الجديد من أساليب بديعة الرائعة، وكان قرآن الكريم بكل إعجازه هو مصدرهم ومعينهم الأساس ، في الشواهد وفي تفسير كلام الله ، أو الاقتباس من ألفاظه و صوره وجمال بيانه عند تنظيم خطبهم، وكتابة رسائلهم.

وما يثبت ذلك ما نقلته لنا أهم المصادر في هذا الشأن، قال أبو عمر بن العلاء (ت 154 هـ):"كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب. فلما كثر الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة، ورحلوا إلى السرقة، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر".

وهذا يدل على أن لكل أمة خطابتها وخطباؤها، قبل أن يعرفوا ترجمتها عن اليونان في القرن الثالث الهجري من قبل إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي الطيب المعروف (ت 298 هـ) الذي ينتسب إلى مدرسة جند ياسبور، رحل إلى بلاد الروم وتعلم اليونانية وكان يجيدها بجانب السريانية والفارسية والعربية وهو وابنه إسحاق، وابن أخته حبيش، كانوا يترجمون معا تحت ما يسمى الكلام على سوفيسطيقيا (أي الخطابة) [1].

[1] ينظر: ابن النديم، الفهرست، تح: يوسف الطويل وأحمد شمس الدين، دار الكتب العامية، بيروت لبنان، ط1، 1416 هـ _ 1996 م، ص 496.

يقول شوقي ضيف عن تلك الفترة:" وصلتنا بعض النتائج من تلك الخطب الجاهلية التي تدل على قوة بنائها وتخير ألفاظها، وحسن عبارتها، وفصاحة لغتها، وظهور الصنعة عليها من الميل إلى السجع، وقصر جملها، وهي لا تخلو من البيان.

كان أصحابها يستخدمونها في منافرتهم ومفاخرهم، وفي النصح والإرشاد، وفي الحث على القتال يوم زحف الأعداء، وفي الصلح والسلم، وفي الأحوال الاجتماعية كالزواج [1] ".

1-2 نماذج من خطب الجاهلية:

قد نقل إلينا في بعض خطب الجاهلية، خطبة الإصلاح التي ألقاها مرثد الخير، إثر التشاحن والتنازع بين سبيع بن الحارث، وبين ميثم بن مثوب، قد خشي أن يصل إلى حد تناحر فيفنا الحيين، فبعث إليها مرثد؛ فأحضرهما ليصلح بينهما، فقال لهما:" إن **التخبط1** وامتطاء **الهجاج2**، و**استحقاب3** اللجاج، سيقفكما على شفا هوة، في توردها**4** بوار **الأصيلة5**، وانقطاع الوسيلة؛ فتلافيا أمركما قبل **انتكاث6** العهد، وانحلال العقد، وتشتت الألفة، وتباين **السهمة7**، وأنتما في فسحة **رافهة8**، وقدم **واطدة9**، والمودة **مثرية10**، والبقيا **معرضة11**؛ فقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب :ممن عصى النصيح، وخالف الرشيد، وأصغى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كان **صيور12** أمورهم؛ فتلافوا **القرحة13** قبل تفاقم **الثاي14** و**استفحال15** الداء، وإعواز الدواء؛ فإنه إذا سفكت الدماء، استحكمت الشحناء، وإذا استحكمت

[1] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، 1946، ص 27.

الشحناء، وإذا استحكمت الشحناء، **تقضبت**16 عرى الإبقاء، و**شمل**17 البلاء "[1].

شرح المصطلحات الخطبة الإصلاح لمثرد:

1 **التخبط**: ركوب الرجل رأسه في الشر خاصة، أو السير على غير هدى.

2 ركب فلان **هجاج** "غير مصروف"، ووهاج مبنيا على الكسر: أي ركب رأسه.

3 **الاستحقاق**: استفعال من الحقيبة أو من الحقاب؛ فأما الحقيبة، فما يجعل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره، والحقاب: بريم تشد به المرأة وسطها "والبريم خيط فيه لونان"، وهذا مثل: إما أن يكون أراد أنه احتزم باللجاج أو جعله في وعائه.

4 **التود**: الإشراف على الماء وغيره، دخله أو لم يدخل.

5 **الأصل**.

6 **انتقاض**: "والأنكاث جمع نكث، وهو ما نقض من الحبال ليعاد ثانية."

7 **القرابة**.

8 **ناعمة من الرفاهية**.

9 **ثابتة**.

10 **متصلة**.

11 **ممكنة** أمكنت من عرضها، أي من جنبها وناحيتها، يقال قد أعرض لك الظى فارمه، أي أمكنك من

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور الزاهية، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، مج 1، ص 9- 10.

عرضه.

12 عاقبة.

13 الجرح.

14السعي والمثاى: الإفساد والجراح والقتل ونحوه.

15 اشتداده، وهو أن يصير مثل الفحل.

16 تقطعت.

17 من بابي فرح ونصر[1].

1-3 أشهر خطباء الجاهلية:

ومن أبرز مفوهين وخطباء الذين بروزا قبل صدر الإسلام، وسطرت كتب ذكرهم، وحفظت كتب التاريخ والأدب بعض من خطبهم، منهم:

قس بن ساعدة الإيادي، ت 600، أسقف نجران، وخطيبها وحكيمها، وهو الذي قال فيه رسول الله صل الله عليه وسلم، رأيته في سوق عكاظ وهو يقول " أيّها النّاس اجتمعوا واسمعوا وعوا.

من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آتْ " [2].

[1] نفسه، ص 10.

[2] أبو عُثْمان عُمَرُو بن بَحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، بيروت لبنان ،1968، مج 1، ص 207.

وكان فيهم من يجمع بين الشعر وخطابة والبلاغة أمثال: الشاعر **عمرو بن كلثوم**، شاعر وخطيب تغلب، **وهَيْذان بن شيخ**، و**قس بن سنان**، ويقال إنه خطب في داحس والغبراء يوما إلى الليل، وكذلك اشتهرت بالخطابة قبيلة تميم وإياد على سائر القبائل العربية [1] .

2. الخطابة في صدر الإسلام أنواعها وخصائصها

2_1 الخطابة في الإسلام:

جاء الإسلام، وبالغت الخطابة شأنها، وارتفع مكانتها بسبب تعاليم الدين القويم المحددة، والسنة الصافية، وتراوحت أغراضها من الخطابة الدينية والسياسية، إلى المنتديات، والمواعظ، والامتاع، والزواج، وخطاب المناظرة.

كما أتت بفصاحة قوية، وبلاغية ثرية، وحسن أسلوب وجمال بيان.

فكانت حاجتهم إلى الإسلام أشد للدخول في الدين الجديد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان الرسول صل الله عليه وسلم أخطب العرب قاطبة، ثم الخلفاء الراشدون، والصحابة والتابعون، ثم أمراء الجيوش وولاة الأمصار، والقضاة من الخطباء، غير أن بعضهم كان أخطب من بعض [2].

2-2 بلاغة وخطابة النبي صل الله عليه وسلم

كان صل الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد، بل أفصح من خلق الله تعالى، صح عنه

---

[1] الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص 32.

[2] ينظر: عبد القادر شاكر، تاريخ الخطابة عن اليونان والعرب، السداسي الثاني 2011، مجلة اللغة العربية، فصلية (نصف سنوية)، دار النشر: المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد 27، ص 213_ 214.

– صل الله عليه وسلم – قال إنه قال عن نفسه: "أوتيت جوامع الكلم بخواتيمه، واختصر لي الكلام اختصارا "[1].

ومعناه: (أي إيجاز اللفظ مع تناوله المعاني الكثيرة جدا. وقوله: بخواتمه، أي كأنه يختم على المعاني الكثيرة التي تضمنها اللفظ اليسير، فلا يخرج منها شيء عن طالبه ومستنبطه لعذوبة لفظه وجزالته[2].)

خطب صل الله عليه وسلم كما في حديث حذيفة، من بعد صلاة الفجر إلى غياب الشمس.

قال رضي الله عنه " :صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح، ثم صعد المنبر، فخطب حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطب حتى غابت الشمس، فحدثنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا " [3] .

فلم يخطأ في جملة، ولم يلحن في كلمة، ولا تلعثم في حرف، هكذا على طول حياته صل الله عليه وسلم في خطبه وكلماته.

[1] الحسن علي بن سليمان المرداوي، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تح: عبد الرحمن الجبرين وعوض القرني وأحمد السراح، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية ط 1، 1421 هـ- 2000 م، مج 1، ص 124.

[2] مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة – مصر، 1347 هـ، مج 3، ص 1586.

[3] أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، صحيح ابن حبان: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع، تح: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، 1433 هـ - 2012 م، مج 6، ص 6.

اندهش الناس والعرب العرباء أمة الفصاحة من بلاغته وفصاحته – صل الله عليه وسلم –، رغم أنهم كانوا هم أساطين بيان، وأرباب لغة، وفرسان كلام.

يقول أمير الشعراء واصفا فصاحته صل الله عليه وسلم:

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة حديثك الشهد عند الذائق الفهمِ[1]

أُلف في بلاغته وخطبه صل الله عليه وسلم، كتب ومجلدات، ألفها علماء وأدباء ودكاترة وأساتذة، يقول أحمد شوقي أيضا:

وَإذا خَطَبتَ فَلِلمَنابِرِ هِزَّةٌ تَعرو النَدِيَّ وَلِلقُلوبِ بُكاءُ[2]

ويقول الزبيري قاضي اليمن، وهو يمدح بلاغة المصطفى صل الله عليه وسلم:

ما بنى جملة من اللفظ إلا وابتنى اللفظ أمة من عفاءِ

ما قال كلمة إلا أحيا بها جيلاً، وما خطب خطبة إلا هز جيشاً وما أرسل عبارة إلا فتح بها مدينة [3] ".

أفصح الناس رسول الهدى، وإمام الندى، أبلغ من حضر وبدا، وأوعظ من راح وغدا.

[1] أحمد شوقي، شوقيات، مؤسسة هنداوي، القاهر – مصر، 2021، ص 236

[2] محمد سعيد رمضان البوطي، مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول، دار المعرفة، دمشق_ سوريا، ط 1 ،1402 هـ، ص 30.

[3] عائض بن عبد الله القرني، مملكة البيان، دار ابن حزم، الإسكندرية _ مصر، ط1، 1422 هـ -2001 م، ص 132.

يذكر شوقي في قصيدته نهج البردة:

أَخوكَ عيسى دَعا مَيتاً فَقامَ لَهُ وَأَنتَ أَحيَيتَ أَجيالاً مِنَ الرمَمِ[1]

وتعد البلاغة السمة البارزة في منطقه صل الله عليه وسلم ، يقول عبد العاطي محمد شلبي " لهذا كان من أبرز صفات الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأجلى آيات عظمته البلاغة البليغة، وأنه في الذروة العليا من البيان وفصاحة اللسان، وأن التبليغ البليغ كان السمة المشتركة بين أفانين قوله كله ... ، كما اجتمعت له القدرة على تأليف القلوب، وتحصيل الثقة، إلى قوة الإيمان بدعوته، وحرصه الشديد على نجاحها، فاجتمع له بذلك كل أسباب البلاغ للرسول، والنجاح للخطيب، وثقة القوم بصدق الداعي أو الخطيب أساس إجابته، وشرط لنجاح دعوته، وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في قومه مثلا للأمانة والصدق، حتى لقبوه فيما بينهم "الصادق الأمين"[2].

ويقول المراغني في كتابه (علوم البلاغة):" ونعرف السر في افتخار النبي عليه السلام بقوله» :أنا أفصح من نطق بالضاد ."ونفهم وجه تعجب الصحابة من فصاحته عليه

السلام، فقد روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال له :ما بالك يا رسول الله أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟[3]

[1] شوقيات، ص 240.

[2] عبد العاطي محمد شلبي، عبد المعطي عبد المقصود، الخطابة الإسلامية، ص 33_ 34.

[3] ينظر: أحمد ابن مصطفى المراغني، علوم البلاغة البيان المعاني البديع، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ط 3، 1414 هـ _1993 م، ص 42.

وهكذا كان سائر حاله وسننه وأيامه، وأغلب أيامه في مكة – صل الله عليه وسلم –، بين التبليغ والدعوة والخطابة.

يذكر المؤرخ والأديب شوقي ضيف حال النبي – صل الله عليه وسلم– ودعوته بمكة، ومن ثما هجرته – صل الله عليه وسلم– إلى المدينة، يقول «وقد ظل طوال مكثه بمكة يتلو على قريش ومن يلقاه في الأسواق كتاب الله حينا، وحينا آخر كان يخطب في نفس معاني القرآن المكية متحدثا عن رسالته، وداعيا إلى وحدانية الله..، وأنه سيبعثهم يوم القيامة، ليجزي بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا، حتى إذا انتقل إلى المدينة فرضت الخطابة، في صلاة الجمع والأعياد ثم في مواسم الحج.

وكان ما يزال يخطب في الأحداث التي تلمّ. وفى أخباره أنه كان يطيل الخطبة أحيانا إلى ساعات.

غير أن كتب الأدب والتاريخ لم تحتفظ من هذا التراث القيم إلا بأطراف قليلة، ولعل مرجع ذلك إلى طول المسافة بين خطبه وعصر التدوين فضاعت أو سقطت من يد الزمن إلا بقايا قليلة " [1].

وسنرى نماذج من حسن بلاغته وجمال فصاحته في الفصل الثاني، في خطبة حجة الوداع .

2–3 شجاعته في المعارك وثباته صل الله عليه:

كما أنه صل الله عليه وسلم الخطيب الأفصح ، بل أفصح من الخلق الله تعالى ، وقد أشرنا إلى ذلك في المحور السابق، كان صل الله عليه وسلم أشجع الناس وأخطبهم ، بل قوة شجاعته واقدامه كقوة بلاغته وبيانه

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف – مصر، ط1، 1960 _ 1995 م، مج 2، ص 115.

، لا يكتفي بالتنظير بل يصاحب قوله فعله ويصدقه ، صل الله عليه وسلم ، فهو رجل حرب ، يضع الخُطط ، بل ويقود الجيوش بنفسه ، وإذا حمي الوطيس ، واشتدت المعارك وفر الأبطال من حوله ، و وصمتت الأفواه الكبيرة ، وخرست الألسنة الطويلة ، وخطبت السيوف والرماح على منابر الرقاب والأجساد ، قام صل الله عليه وسلم خطيبا ، لينادي بأعلى صوته ويقول : " **أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ، أَنَا ابْنُ عبد المطلب** " [1].

ومن جميل ما وصفه به صاحب كتاب (ملهم العالم) في هذا الموضع قال: «.. خاض المعارك بنفسه عليه الصلاة والسلام، وباشر القتال بشخصه الكريم، وعرض روحه للمنايا، وقدم نفسه للموت، غير هائب ولا خائف، ولم يفر من معركة قط، وما تراجع خطوة واحدة.

وساعة حمي الوطيس وتشرع، السيوف، وتمشق الرماح، وتهوي الرؤوس، ويدور كأس المنايا على النفوس، في تلك اللحظة يكون – صل الله عليه وسلم – أقرب أصحابه من الخطر، يحتمون به أحياناً وهو صامد مجاهد، لا يكترث لعدو ولو كثر عدده، ولا يأبه لخصم ولو قوي بأسه، بل كان يُعدل الصفوف، ويشجع المقاتلين، ويتقدم الكتائب"[2].

هكذا كان- صل الله عليه وسلم- أشجع وأجرء الناس وأقواهم إقداما وصبرا وثباتا، في أصعب الظروف وأخطر الخطوب وأشرس المعارك كما ترويه الأحاديث الشريفة الآتية.

[1] مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة – مصر، 1347 هـ ، مج 3، ص 400.
[2] عائض عبد الله القرني، ملهم العالم، مكتبة الرشد، الرياض _ السعودية، 1443هـ، ص450.

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه: "كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به" يعني النبي صلى الله عليه وسلم " [1].

قال أنس رضي الله عنه: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس" [2].

وقال علي رضي الله عنه: "كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه"[3].

وعنه أيضا أنه قال: "لقد رأيتني يوم بدر، ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو. وكان من أشد الناس يومئذٍ بأسًا" [4].

3. أنواع الخطابة وخصائصها:

3– 1 أنواعها : لا نزال في عصر صدر الإسلام، ولا زلنا مع أنواع الخطابة وأضرابها في هذا العصر، وقد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل الخطابة في شؤون الدين والدولة كافة؛ فكانت الخطبة داعية إلى الله، ومحفزة للجهاد في ساحة المعارك، والشؤون السياسية والاجتماعية وغير ذلك.

[1] صحيح مسلم، مج 3، ص 401.

[2] نفسه، مج 4، ص 302.

[3] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: أحمد شاكر، الدار الحديث، القاهرة – مصر، ط 1، 1416 هـ _ 1995 م، مج 2، ص 49.

[4] نفسه، مج 1، ص 449.

وسار على هذا النهج خلفاؤه الراشدون، وأصحابه المهديون، واندثرت الخطب التي تدعو إلى العصبيات القبلية، مثل المفاخرات والمنافرات، والخطب التي كانت تدعو إلى الفواحش والشرك والكبائر، فاصطبغت الخطب بصبغة الإسلام، خالصة صافية من كل الشوائب التي تعكر صفو الدعوة إلى الله.

وحتى نجلي الصورة الخطابة في صدر الإسلام، لابد أن نقف على أنواع الخطب وأقسامه وندلف إلى موضوعاتها، ومن أبرز موضوعات الخطبة حينها ما يأتي:

أ – الخطب الدينية:

ساد هذا النوع من الخطب على باقي الأنواع الأخرى؛ فقد كانت أكثر الخطب في ر صدر الإسلام تدور حول هداية الناس وإرشادهم لمصالح دينهم ودنياهم ، وما هو جائز لهم وما هو محرم ، وقد كان الناس حديثي عهد بالإسلام ، فهم محتاجون إلى من يبين لهم أحكامه وشرائعه، ويصحح سعيهم إذا ضلوا سواء السبيل؛ لهذا فرض الله الخطبة كل جمعة في الأسبوع، فضلا عن تلك الخطب التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إليها إذا فزعه أمر من أمور الدين والدنيا، وربما خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوما كاملا، كما روى أبو عمرو زيد بن أخطب الأنصاري، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا [1] .

[1] صحيح مسلم، مج 4، ص 207.

ب – خطب الجهاد والحض على القتال:

وهذا النوع من الخطب لم يبتكره الإسلام، وإنما كان موجودا قبله في خطب الجاهلية؛ حيث كان خطيب القبيلة يحرض الناس لقتال القبيلة الأخرى والإغارة عليها، فلما جاء الإسلام كان الهدف من الجهاد نشر كلمة التوحيد والدعوة إلى دين الله تعالى، فشتان بين هذا وذاك.

وعلى هذا الأمر كثرت الغزوات والسرايا التي يرسلها النبي صلى الله عليه وسلم إلى القبائل والمدن، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس داعياً إياهم، على الجهاد ويحثهم على ذلك ثم يخطب في الجيش فيأمره وينهاه، ويشرح له أن الجهاد فضيلة في سبيل الله، وأنه بين إحدى حسنيين؛ النصر أو الشهادة. ينشأ في المؤمنين، فترتفع الهمة في قلوب المؤمنين، ويؤيدهم الله بنصر عنده.

يدرك متابع لخطب النبي – صلى الله عليه وسلم – في المعارك والغزوات والجهاد، أن من أهم عواملها الإقناع وحض على الصبر والثبات، وأن تأثيرها يكون بالغ في المجاهدين الذين معه، في كثير من المواقف، وسنقدم بعض هذه الخطب لإبراز علامات التواصل والإقناع فيها.

ومن خطب الغزوات أولا: خطبة يوم بدر، حيث خطب صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد: فإني أحثكم على ما حثكم الله عز وجل عليه، وأنهاكم عما نهاكم الله عز وجل عنه، ... وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله عز وجل به الهم وينجي به من الغم، وتدركون به النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله

يحذركم ويأمركم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه، فإن الله عز وجل يقول : (**لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم**)[1] .

وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمرا، تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته، فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد. وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا [2] .

ج – خطب النكاح:

وهي خطبة في تقال وقت الزواج أو الخطبة، يوجهها أهل الخاطب أو أقاربه، موعظة، مبيناً فيها فضائل الخاطب ومناقبه، ثم يعرض الزواج لأهل المرأة (وليها)، والسنة فيها هي إطالة الخاطب وتقصير المجيب.

وهذا اللون من الخطب قد امتد إلى الإسلام من الجاهلية، فأقره الإسلام ولم يناقضه.

ويروي الهيثم بن عدي أن الخطباء لم يكونوا يخطبون قعودا إلا في خطبة النكاح [3]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "ما يتصعدني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح[4]".

ومن أمثلة هذا اللون من الخطب خطبة بلال بن رباح عندما خطب على أخيه امرأة من قريش فقال: "نحن من قد عرفتم، كنا عبدين فأعتقنا الله، وأنا أخطب على أخي خالد فلانة، فإن تنكحوه فالحمد لله، وإن تردوه فالله أكبر[5]. "

---

[1] غافر / 10.

[2] ينظر: محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تح: عادل أحمد عبد الواحد علي معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1414 هـ، مج 4، ص 34.

[3] البيان والتبين، مج 1، ص115.

[4] نفسه، مج 1، 127.

[5] أبو محمد عبد الله، بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية –بيروت لبنان، 1418 هـ، مج 4، ص 72.

وكان الحسن يقول في خطبة النكاح، بعد حمد الله والثناء عليه: "أما بعد، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة، والأنساب المتفرقة، وجعل ذلك في سنة من دينه، ومنهاج واضح من أمره، وقد خطب إليكم فلان، وعليه من الله نعمة"[1] .

د – خطب المحافل والوفود:

عرف الأدب الجاهلي هذا النوع من الخطب؛ فكانت الوفود تدخل الملوك والأمراء، وكان أحدهم يقول المديح للملك أو الأمير، ومن المديح يطرح نوازل ومطالب القبيلة، فيجيب عليها الملك، ويزيل عنهم شكاواهم.

ولما ظهر الإسلام وأصبح قويا جاء إليه الناس من كل حدب وصوب، سواء من سعى إلى إيضاح حقيقة الدين وما دعا إليه، ومن اتحد ليشهد لبلاغته ودحض أعداءه، أو جاء لإظهار شرف ما يحض عليه أخلاق سامية، وقيم راقية والنهوض بمكانته، فهو جدير بالقيادة والمجد.

وقد كان – رسول الله صلى الله عليه وسلم – يأذن لهؤلاء الخطباء في أن يقولوا ما يشاؤون، ثم يقوم فيرد عليهم، أو يكلف من ينوب من خطبائه بالرد عليهم.

أورد شيخ المفسرين وكبير المؤرخين ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى، في كتابه تاريخ الرسل والملوك مثال ذلك، أنه لما قدم وفد بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم، ودخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى الله

[1] البيان والتبين، مج 1، ص 68.

عليه وسلم فقالوا: يا محمد، جئناك لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال – صل الله عليه وسلم –: أذنت، فقام عطارد بن حاجب، فقال: (الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله، الذي جعلنا ملوكا، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة، فمن مثلنا في الناس؟! ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم! فمن يفاخرنا فليعدد مثل ما عددنا...أقول هذا الآن لتأتونا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا) .ثم جلس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس أخي بني الحارث بن الخزرج ، قم فأجب الرجل في خطبته [1].

فقام ثابت، فقال: (الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، واصطفى من خير خلقه رسولا، ثم دعا الناس إلى الإيمان، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبدا، أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين وللمؤمنات، والسلام عليكم).

فلما فرغ قال الأقرع بن حابس: وأبي، إن هذا الرجل لمؤتى له؛ لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا! فلما فرغوا أسلموا جميعا، وأحسن النبي صلى الله عليه وسلم إليهم وكافأهم[2].

و – الخطب السياسية:

أصابت الدولة الإسلامية بعض الأمور السياسية القوية، التي كانت تحتم على القائد بيان موقف الدولة

[1] ينظر:أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط، 2، 1387 هـ – 1967 م، مج 3، ص 119.

[2] نفسه. ص 119.

منها، وأن يظهر سياسته فيها، تتجلى فيها حكمته وحنكته السياسية، بل كان الخليفة يستهل حكمه بخطبة يوضح فيها الخطة التي سينتهجها في سياسة أمور الرعية، وكذلك كان يفعل الولاة في أمصارهم [1] .

و أول ما نجده من ذلك خطبة أبي بكر الصديق في السقيفة، لما اجتمع الأنصار يوم وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في سقيفة بني ساعدة، يتشاورون فيمن يختارونه منهم ليكون خليفة المسلمين من بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

جاء في سيرة لابن هاشم : " ...أراد عمر أن يخطب، وكان قد جهز كلاما يقوله، فقال أبو بكر: على رسلك يا عمر، فسكت عمر، ثم قام أبو بكر فخطب على البديهة، فحمد الله وأثنى عليه، وكان مما قال: (أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش؛ هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم...فقال عمر: لا يصلح سيفان في غمد، وإنما منا الأمراء ومنكم الوزراء، وتثور ثائرة من في المجلس ويكثر اللغط، فيقول عمر لأبي بكر: ابسط يدك لأبايعك، فبايعه عمر، ثم بايعه المهاجرون والأنصار" [2] .

ثم قام أبو بكر فخطب في الناس وقال: (أما بعد، أيها الناس؛ فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما

[1] محمد خضر، أدب صدر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1402 هـ - 1981، ص 363.

[2] أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1375 هـ، _ 1955 م، مج 2، ص 659.

أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله)[1].

تعددت الخطب السياسية بعد ذلك، واستهل كل خليفة فترة ولايته بخطبة يشرح فيها ملامح سياسته، باستثناء الفتنة التي اندلعت بين المسلمين في نهاية عهد عثمان واستمرت حتى انتهى زمن الخلافة الراشدة، وكان لزاما أن توجد الخطب السياسية لتبين الحقائق الأمور وتدحض شبه وافتراءات المنافقين وأعداء الدين.

ومن أمثلة ذلك ما رواه الإمام البخاري، أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما تمالأ عليه الفسقة وحاصروه، أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حفر رومة فله الجنة «فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة «فجهزتهم؟ قال: فصدقوه بما قال[2].

ورث الناس في عصر النبوة والخلافة الراشدة التقدير لمكانة الخطيب وأهميته، وبما أن الوقت بينهم وبين الجاهلية لم يدم طويلاً، فقد كان كثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خطباء مخضرمين في الجاهلية مثل سهيل بن عمرو، وأبو سفيان صخر بن حرب، وثابت بن قيس بن الشماس ووالده.

كما نبغت مواهب لكثير من الصحابة في ظل الإسلام، مثل الخلفاء الراشدين الأربعة وغيرهم مثل خالد بن الوليد وأبو عبيدة عامر بن الجراح وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

3-2 خصائص الخطابة:

[1] نفسه، مج 2، ص 661.

[2] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق _ سوريا، ط 5، 1414 هـ _ 1993 م، مج 3، ص 1021.

امتازت الخطابة كما يقول عبد الجليل شلبي في أول عهدها بنبل مقاصدها وسمو مضمونها، وتنزهها عن الأغراض الشخصية، فهي كانت دائما قائمة إلى الدعوة إلى الاسلام واتباع مبادئه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطهير النفوس من الأحقاد، والاتجاه بالأعمال إلى الله وحده[1] .

واتسمت الخطابة في عصر النبوة والخلفاء الراشدين بعدة سمات على الصعيدين المعنوي واللفظي، نذكر منها ما يأتي:

أ- الخصائص المعنوية:

- بروز الجانب الديني الدعوي فيها، وهي السمة الأغلب.

- وحدة الموضوع في الخطبة الواحدة.

- تعدد أغراض الخطابة وتنوعها؛ فمنها الدينية والسياسية والاجتماعية.

- الاعتماد على الحجج والبراهين، والرغبة في الإقناع الذهني والتأثير في العقل والنفس.

ب- الخصائص اللفظية:

- الميل إلى الإيجاز، والتركيز من غير إخلال، والاعتماد على الفقرات القصيرة التي تشتمل على جوامع الكلم رغم قلة ألفاظها.

- جزالة الألفاظ وفصاحة العبارة؛ فلم يستعملوا الغريب الوحشي ولا المبتذل السوقي.

- الإكثار من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والحكم والأمثال والشعر؛ وذلك لتأكيد

[1] ينظر: عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة واعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط 2، 1407 هـ- 1976 م، ص 176.

المعاني وزيادة تأثيرها في النفوس.

- الاعتماد على الطبع والفطرة، وكراهية التكلف والتصنع.

- كانت الأسجاع تأتي في خطبهم على السجية والطبيعة، من غير تكلف منهم، بل كانوا ينأون عنها ما استطاعوا.

- تصديرها بالحمد لله والثناء عليه، ثم الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم[1].

[1] ينظر: علي صبح وعبد العزيز شرف وعبد المنعم خفاجي، الأدب الإسلامي المفهوم والقضية، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط 1، 1412 هـ - 1992 م، ص 136.

الفصل الثاني

تمهيد.

1. خطبة حجة الوداع

1-1 إعلان النبي صل الله عليه وسلم رغبته بالحج

2-1 أشهر الروايات الواردة في خطبة حجة الوداع

3-1 شرح مصطلحات الخطبة

2. أهمية خطبة حجة الوداع وموضوعاتها

3. أساليب وخصائص خطبة حجة الوداع

3-1 أسلوب الاستشهاد

3-2 أسلوب المحاورة (موضوعها وأطرافها)

3-3 أسلوب الإيجاز والتأثير

3-4 أسلوب التكرار والنداء

3-5 أسلوب الأمر والنهي والتوكيد والشرط

4.منزلة خطبة حجة الوداع وأثرها

تمـهـــــيد

زالت غبرة الجاهلية عن أفاق الجزيرة كما تزول بقايا الليل أمام طلائع الشروق، وصحت العقول العليلة فلم تعد تخشى وترجو إلا الله، بعد ما ضلت دهورا تعبد أصناما جامدة، وسمع الأذان للصلوات يشق أجواز الفضاء خلال الصحراء التي أحياها الإيمان الجديد، وانطلق القراء شمالا وجنوبا يتلون آيات الكتاب، ويقيمون أحكام الله، ويعلمون العرب ما لم يعلموا هم ولا أباءهم.

إن هذه الجزيرة- منذ نشأ فوقها عمران- لم تهتز بمثل هذه النهضة المباركة، ولم يتألق تاريخها تألقه في هذه الأيام الفريدة من عمرها.[1]

فأصبح أهل الموسم- قاطبة- من الموحدين، الذين لا يعبدون مع الله شيئا، وأقبلت وفود الله من كل صوب، تُيمم وجهها شطر البيت العتيق، وهي تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في هذا العام أمير حجهم ومعلمهم مناسكهم!

[1] ينظر: محمد الغزالي السقا، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، ط 1، 1427 هـ، ص 451.

1. خطبة حجة الوداع

1-1 إعلان النبي صل الله عليه وسلم رغبته بالحج

أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم نيته بالحج، وأشعر الناس بذلك حتى يصحبه، من شاء، فترك المدينة أواخر ذي القعدة، والحج هذه المرة جاء مغايرا لما ألفته العرب أيام جاهليتها.

انتهت العهود المعطاة للمشركين، وحظر عليهم أن يدخلوا المسجد الحرام[1].

ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الألوف المؤلفة وهي تلبي وتهرع إلى طاعة الله، فشرح صدره انقيادها للحق، واهتداؤها إلى الإسلام، وعزم أن يغرس في قلوبهم لباب الدين، وأن ينتهز هذا التجمع الكريم ليقول كلمات تبدد أخر ما أبقت الجاهلية من مخلفات في النفوس، وتؤكد ما يحرص الإسلام على إشاعته من أدب وعلائق وأحكام [2].

[1] نفسه، ص 452.

[2] نفسه، ص 453.

روى أصحاب السِير، أنه لما دخل شهر ذي القعدة تجهز رسول الله صل الله عليه وسلم للحج، وأمر الناس بتجهز له، وهذه الحجة تسمى حجة الوداع، لأنه رسول الله صل الله عليه وسلم وَدْعَ الناس فيها،

ولأنه صل الله عليه وسلم كان قد اقترب أجله لأنه سيموت بعد هذه الحجة بنحوي أربعة أشهر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (وقف النبي صل الله عليه وسلم يوم النحر بين

الجمرات، في الحجة التي حج بها وقال صل الله عليه وسلم: هذا يوم الحج الأكبر، فطفق صل الله عليه وسلم يقول اللهم اشهد وودع الناس، فقالوا هذه حجة الوداع [1]).

1-2 أشهر الروايات الواردة في خطبة حجة الوداع

قد صحت روايات عن حجة الوداع عن جماعة من صحابة، منهم جابر ابن عبد الله وعائشة وابن عمر وزيد بن ثابت وأنس ابن مالك، وابن عباس وأسامة ابن زيد وعبد الله ابن مسعود وغيرهم من صحابة رضوان الله تعالى عنهم.

[1] صحيح البخاري، مج 2، ص 520.

وأوعب من ساقها جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما، فحديثه أوسع روايات وأحسنها مساقاً، وقد رواها الأئمة: الشيخان وأصحاب السنن وأحمد وغيرهم.

وبها نستهل، روى الإمام مسلم رحمه الله، في صحيحه، من كتاب الحج، في باب حجة النبي صل الله عليه وسلم. من حديث جابر رضي الله عنهما. أنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ

لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ.

-يعني أنه لم يبق أحد في مدينة يقدر على المجيء، والحج مع النبي صل الله عليه وسلم راجلاً أو راكباً إلا أتى،"كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الحليفة فصلى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، يعني الصحراء، المفازة والمراد هنا بيداء ذي الحليفة.

قال جابر: "نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ".

-يعني البشر مع رسول الله صل الله عليه وسلم كثير جدا، فحيثما وجه جابر رضي الله عنه ببصره، البشر على مد البصر، وهذا عدد هائل جدا، فقد حكى البيهقي أنه كان معه صل الله عليه وسلم، أكثر من مئة ألف حاج، وهذا عدد عظيم.

"وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ

عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ! لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم شيئا منه. ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته .قال جابر رضي الله عنه :لسنا ننوي إلا الحج. لسنا نعرف العمرة. حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا. ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام .فقرأ: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فجعل المقام بينه وبين البيت. فكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم :(كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون. ثم رجع إلى الركن فاستلمه. ثم خرج من الباب إلى الصفا .فلما دنا من الصفا قرأ: (إن الصفا والمروة من شعائر الله) أبدأ بما بدأ الله به "فبدأ بالصفا. فرقي عليه. حتى رأى البيت فاستقبل القبلة. فوحد الله، وكبره .وقال" :لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده. أنجز وعده. ونصر عبده. وهزم الأحزاب وحده "ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات. ثم نزل إلى المروة. حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى. حتى إذا صعدتا مشى. حتى إذا أتى المروة. ففعل على المروة كما فعل على الصفا .حتى إذا كان آخر

طوافه على المروة فقال: لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي. وجعلتها عمرة. فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل. وليجعلها عمرة ."فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال :يا رسول الله! ألعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى. وقال "دخلت العمرة في الحج "مرتين "لا بل لأبد أبد "وقدم علي من اليمن ببدن النبي صلى الله عليه وسلم. فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حل. ولبست ثيابا صبيغا. واكتحلت. فأنكر ذلك عليها .فقالت :إن أبي أمرني بهذا .قال :فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة. للذي صنعت. مستفتيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه. فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها .فقال" :صدقت صدقت. ماذا قلت حين فرضت الحج؟ " قال قلت: اللهم! إني أهل بما أهل به رسولك .قال" :فإن معي الهدي فلا تحل "قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة .قال :فحل الناس كلهم وقصروا. إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدي. فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى. فأهلوا بالحج. وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر. ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة. فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام. كما كانت قريش تصنع في الجاهلية. فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة. فوجد القبة قد ضربت له بنمرة. فنزل بها. حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء .فرحلت له. فأتى بطن الوادي .فخطب الناس وقال" :إن دماؤكم وأموالكم حرام عليكم. كحرمة يومكم هذا. في شهركم هذا. في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع. ودماء

الجاهلية موضوعة. وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث. كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع. وأول ربا أضع ربانا. ربا عباس بن عبد المطلب. فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء. فإنكم أخذتموهن بأمان الله. واستحللتم فروجهن بكلمة الله. ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه. فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به. كتاب الله. وأنتم تسألون عني. فما أنتم قائلون؟ " قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس "اللهم! اشهد اللهم! اشهد "ثلاث مرات. ثم أذن. ثم أقام فصلى الظهر. ثم أقام فصلى العصر. ولم يصل بينهما شيئا. ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى أتى الموقف. فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلا، حتى غاب القرص، وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق للقصواء الزمام، حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى »أيها الناس، السكينة السكينة «كلما أتى حبلا من الحبال أرخى لها قليلا، حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر، وصلى الفجر، حين تبين له الصبح، بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا، فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما، فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن يجرين، فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله صلى

الله عليه وسلم يده على وجه الفضل، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر، حتى أتى بطن محسر، فحرك قليلا، ثم سلك الطريق الوسطى لتي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها، مثل حصى الخذف، رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثا وستين بيده، ثم أعطى عليا، فنحر ما غبر، وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر، فطبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب، يسقون على زمزم، فقال» :انزعوا، بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم «فناولوه دلوا فشرب منه" [1].

وروى أبو داوود والترمذي وابن ماجة عن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه، أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال في حجة الوداع لناس" :يا أيها الناس، ألا أي يوم أحرم؟ ثلاث مرات، قالوا :يوم الحج الأكبر، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا

[1] صحيح مسلم، مج 2، كتاب الحج (باب حجة النبي صل الله عليه وسلم)، حديث رقم: 1218، ص: من 886 إلى 891.

لا يجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا مولود على والده، ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبدا، ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى بها " [1].

وروى الدارمي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ – رضي الله عنه –، أَنَّهُ شَهِدَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فِي يَوْمِ عَرَفَةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ :قال فيها صل الله عليه وسلم: " أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللَّهِ

لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا بِمَكَانِي هَذَا، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ سَمِعَ مَقَالَتِي الْيَوْمَ فَوَعَاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ وَلَا فِقْهَ لَهُ، وَلَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ حَرَامٌ، عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ هَذَا الْيَوْمِ فِي هَذَا الشَّهْرِ فِي هَذَا الْبَلَدِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْقُلُوبَ لَا تَغِلُّ عَلَى ثَلَاثٍ :إِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةِ أُولِي الأَمْرِ، وَعَلَى لُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ " [2].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال» :إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السنوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات :ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا، (قلنا :الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا

---

[1] أبو عبد الله، محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، سنن ابن ماجه، تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط 1، 1430هـ - 2009 م، مج 4، ص 243.

[2] أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، مسند الإمام الدارمي، تح مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، ط 1، 1436 هـ - 2015 م، مج 1، ص 127 _ 128

أنه سيسميه بغير اسمه، قال) :أليس ذا الحجة .(قلنا :بلى، قال) :أي بلد هذا .(قلنا :الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال) :أليس البلدة .(قلنا :بلى، قال) :فأي يوم هذا .(قلنا :الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال) :أليس يوم النحر .(قلنا :بلى، قال) :فإن

دماءكم وأموالكم – قال محمد :وأحسبه قال – وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا، يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه "[1].

وأيضا من أروع ما يصور ذلك خطبته كذلك عليه الصلاة والسلام في حجّة الوداع، وهي تجرى على هذا.

قال ابن إسحاق :ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه، فأرى الناس مناسكهم، وأعلمهم سنن حجهم، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤديها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس

[1] صحيح البخاري، مج 5، ص 2110.

أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب،

وكان مسترضعا في بني ليث، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية. أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم، أيها الناس :إن النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونه عاما ويحرمونه عاما، ليواطؤا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السنوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية، ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان. أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا، كتاب الله وسنة نبيه. أيها الناس، اسمعوا قولي وعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لأمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟

فذكر لي أن الناس قالوا :اللهم نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اشهد[1].

وكذلك أورد صاحب كتاب جمهرة خطب العرب، رواية خطبة حجة الوداع جاء فيها: أنه صل الله عليه

وسلم قال «: عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح **1** بالذي هو خير، أما بعد :أيها الناس اسعموا مني أبين لكم؛ فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا .أيها الناس :إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب **2**، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود**3**، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير؛ فمن زاد، فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس :إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه**4** قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك ما تحقرون من أعمالكم، أيها الناس :

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، مج 2، ص 503_ 504.

(إنما النسيء5 زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله).

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله، يوم خلق السنوات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو

الحجة، والمحرم، ورجب**6** الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

أيها الناس :إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة؛ فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن**7** وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح؛ فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالعروف، وإنما النساء عندكم عوان**8** لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

أيها الناس :إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لأمرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه؛ ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده، كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

أيها الناس :إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى؛ ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا نعم .قال :فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس :إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر**9**، من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل**10**، والسلام عليكم ورحمة الله[1]. [2].

1-3 شرح مصطلحات الخطبة

1 الاستفتاح: الافتتاح والاستنصار.

2 وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته بنو هذيل.

3 القود: القصاص، أي من قتل عمدا يقتل.

4 في رواية الكامل لابن الأثير: "إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك، وقد رضي بما تحقرون من أعمالكم."

5 أي تأخير حرمة شهر إلى آخر، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور الزاهية، مج 1، ص _ 156 _ 157.

[2] ينظر: البيان والتبين، مج، 2، ص 15.

أحلوه، وحرموا مكانه شهرا آخر فيحلون المحرم، ويحرمون صفرا؛ فإن احتاجوا أحلوه وحرموا ربيعا الأول، وهكذا حتى استدار التحريم على الشهور السنة كلها، وكانوا يعتبرون في التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومة، وأول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني، كان يوم على جمل في الموسم فينادي: إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه، ثم ينادي في القبائل: إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم؛ فحرموه – زيادة في الكفر، أي كفر آخر ضموه إلى كفرهم. ليواطئوا: أي يوافقوا عدة الأشهر الأربعة المحرمة، وكانوا ربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراما أيضا، ولذا نص على العدد المبين في الكتاب والسنة، وكان وقت حجهم يختلف من أجل ذلك، وكان في السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بالناس في ذي القعدة، وفي حجة الوداع في ذي الحجة، وهو

الذي كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء، ولذا قال عليه الصلاة السلام "إن الزمان قد استدار ... إلخ" الألوسي[1] .

[1] ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ط 1 ،1415 هـ، مج 3، ص 305.

6 قالوا في تثنية رجب وشعبان رجبان للتغليب.

7 العضل: الحبس والتضييق.

8 جمع عانية من عنا، أي خضع وذل، والعاني: الأسر.

9 والعاهر: أي الزاني، أي لا حق له في النسب ولا حظ له في الولد، وإنما هو لصاحب الفراش أي لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها، وهو كقوله الآخر: له التراب، أي لا شيء له.

10 الصرف: التوبة. والعدل: الفدية، وقيل الصرف القيمة. والعدل المثل، وأصله في الفدية يقال: لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا، أي لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتيلهم رجلا واحدا، أي طلبوا منهم أكثر من ذلك، ثم جعل بعد في كل شيء حتى صار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الذي يجب عليه وألزم أكثر منه[1].

2.أهمية خطبة حجة الوداع وموضوعاتها

اغتسل صل الله عليه وسلم في نمرة، ثم دلف على الناس، تكلم في دقائق في قضايا العالم، فدهش الناس، وتعد خطبة عرفة خطبة للتاريخ وللدينا، في يوم النحر اجتمع الناس مئة وعشرون ألف حاج، وكلهم سكوت

[1] ينظر: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور الزاهية، مج 1، ص _ 156 _ 157 _ 158.

ينتظرون، قام صل الله عليه وسلم وجموع أمامه، يخطب لتاريخ وللدنيا، فيطلقها في دقائق معدودات مدوية إلى العالم كله.

يصف صاحب كتاب (ملهم العالم) ، الخطبة حجة الوداع بالتاريخية الربانية، التي دوت الأرض ، ولم يسبق في العالم نظيرها ولا لها شبيه ، يقول: ... تكلم عن توحيد الباري جلَّ في علاه ، وعن العدل والمساواة والإخاء ، وفضل التقوى ، وحقوق الإنسان ، وحقوق المرأة ، والمال العام ، وحفظ الدماء والأموال والأعراض ، ثم استشهد النّاس وقال: (قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه والسبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس، اللهم اشهد) ، ثلاث مرات ، بصوت يجلجل في الفضاء ويصعد إلى السماء، ويهز الأرجاء فيرتجف المكان، ويقف الزمان، وينبهر الإنسان[1].

وواضح أن النبي صلوات ربي عليه وسلامه، ما كاد يفتتح بالتمجيد الله وثنائه عليه وذكر شهادة التوحيد، والتوصية بتقوى الله وخشيته، حتى أدلف يتنقل بين جملة من الشرائع الدين القويم، الذي حدّ وأجمل وفصل وأبان وأضح، بين حياة العرب في الجاهلية وحياتهم في الإسلام، فلقد كانوا شراذم متفرقة، وقبائل متناحرة، يقتل بعضهم بعضا، ويأكل القوي فيهم الضعيف، وتُنازعهم نعرات الثأر، والمفاخرات وعصبية الجاهلية.

[1] عائض عبد الله القرني، ملهم العالم، ص 493.

فجاء الإسلام فجمع شملهم إلى بجناحه، فصاروا جماعة المسلمين العظمة، ﴿ **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾ [1] .

لا يظلم أحدهم أحد، ولأجل القضاء على أسباب الحروب والاقتتال بينهم، أوكل الإسلام دم المقتول إلى ولي الأمر، وجعل القصاص، من القاتل، قال تعالى:﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [2]. يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى – في تفسيره لهذه الآية: «وذلك أن حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء، فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدة والأموال" [3].

---

[1] الحج / 78.

[2] البقرة / 179.

[3] إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط 1، 1419 هـ، مج 1، ص 357.

وحرم العدوان والنهب والسلب وشدد العقوبة والتعزير على الجاني، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

يقول ابن كثير: " المحاربة هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر "[2].

يقول شوقي ضيف: " والرسول يفتتح في الخطبة أوامر الإسلام ونواهيه بإعلان أن دماء المسلمين وأموالهم حرام، ومن ثم حرم الربا، وبدأ بعشيرته... كل ذلك ليحفظ للجماعة وحدتها ويسود بين أفرادها السلام والوئام.

[1] المائدة / 33.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 3، ص 85.

ويحذر الرسول من الشيطان وغواياته، محرما للتلاعب بالأشهر الحرم، ويرفع من شأن المرأة، فيجعل لها حقوقا وعليها واجبات، داعيا إلى التعاطف والتراحم والتعامل برفق وإحسان، وعلى هذا النحو كان الرسول صلوات الله عليه يبين في خطابته حدود الحياة الإسلامية[1].

ويصف الجاحظ البلاغة في خطبة النبي – صل الله عليه وسلم – أبلغ الأوصاف فيقول إنه: "جانب أصحاب التقعيب، وهجر الغريب الوحشي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته. لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، ولا يحتج إلا بالصدق، ...ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم" [2].

[1] ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، مج 2، ص 119 – 120.

[2] ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، مج 2، ص 13

3.أساليب وخصائص خطبة حجة الوداع

3-1 الاستشهاد

للاستشهاد منزلة نفسية تجعل الخطيب مرتاح البال لما يقول، ويغرس المعاني في عقول

السامعين له، فالرسول صل الله عليه وسلم في هذه الخطبة يستشهد من القرآن الكريم في قوله (**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)** [1].

وإشهاد الله جل وعلى، على أنه أدى الأمانة ونصح للأمة، ثم تبليغ الرسالة المأمور بإيصالها للمؤمنين كافة فهو- صل الله عليه وسلم – يربط الأرض بالسماء، بأعظم رباط وهو التوحيد، ثم يورده للناس في علاقة اتصال الوحي والرسالة، بين المسلمين وخالقهم ورسوله صلى الله عليه وسلم وخالقهم ورسوله صل الله عليه وسلم " ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد " [2].

[1] 37 / التوبة.

[2] صحيح مسلم، مج 2، ص 891.

2-3 أسلوب المُحَاوَرَة وموضوعها

فتح مجال المحاورة والتفاعل في الخطبة النبوية يمكن ملاحظتها من خلال تتبع خطبته – صل الله عليه وسلم –، ومثال ذلك قوله: " وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي. فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ " قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ! اشْهَدِ اللَّهُمَّ! اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " [1].

وكذلك في قوله، "يا أيها الناس، ألا أي يوم أحرم؟ ثلاث مرات، قالوا :يوم الحج الأكبر"[2].

أ_ أطرف الحوار: النبي صل الله عليه وسلم، الحضور: حشود المسلمين الحجاج، المقام: يوم عرفة بمكة المكرمة، القناة: الكلام، النظام: خطبة .

ب_ موضوع الحوار: إن لخطبة النبي – عليه الصلاة والسلام –، مغزى عظيم يتعلق بالدعوة الإسلامية، وبحياته صل الله عليه وسلم، وبالمنهج العام لنظام الإسلامي، ولقد كان الحوار من أساليب الدعوة إلى الله التي سلكها الرسول – صل الله عليه وسلم – في محاورته مع المخاطب وإقناعه.

[1] نفسه، ص 891

[2] سنن ابن ماجه، مج 4، ص 243.

3-3 أسلوب الإيجاز والتأثير:

يقول الجاحظ في كاتبه البيان والتبين[1]: " عالج النبي صل الله عليه وسلم موضوع هذه الخطبة بكلمات

وألفاظ معدودة ودقيقة، ومثال ذلك قوله صل الله عليه وسلم: يا أيها الناس إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لأمرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد " [2].

فقد حذف لفظ (أخذ) من قوله – صل الله عليه وسلم " لا يحل لأمرئ مال أخيه " والمراد " أخذ مال أخيه «: لأن المال لا يوصف بالحلّ والحرمة إنما المراد غصبه أو أخذه بغيره وجه حقّ.

نؤكد هنا أن التعامل مع خطب الرسول – صل الله عليه وسلم –ليس كالتعامل مع سائر النصوص البشرية، وهذا جزء من عقيدة المسلم، لا يسعنا أن نتعامل مع النص بهدف التقليد، أو نقده، بل للوقوف على ما فيه من أساليب إقناع وتأثير وإشارات وغيرها.

[1] البيان والتبيين، مج 2، ص 14.

[2] نفسه، مج 4، ص 243.

3-4 أسلوب التكرار والنداء:

تعد خطبة حجة الوادع للنبي – صل الله عليه وسلم – مظهراً تكراريا رائدا في بلاغة البيان العربي، إذ إنه تكرار غائي له من جمالية التفصيل، ومن أمثلة التكرار في هذه الخطبة قوله – صل الله عليه وسلم –

" لعلي لا ألقاكم بعد موقفي هذا " [1]، فقد تم استخدام اسم الإشارة مرتين مكان معين " موقفي هذا "، وفي هذا التكرار تنبيه للعقول، ودفع لاحتمالات اللقاء زماناً ومكانا وللدلالة على التعظيم، حيث أشار – صل الله عليه وسلم – بأحدهما إلى زمان معين،" عامي هذ"، وأشار بالآخر إلى والتحديد، كأنها تهيئة للمسلمين من أجل أن لا يفزعوا حين يلقى النبي ربه راضيا.

استعمل – صل الله عليه وسلم – النداء في قوله:" يأيها الناس " [2] ، وقد تكرر هذا في الخطبة ثماني مرات، ويعد النداء توجيها للمتلقين بعظمة الموقف، وليعلم الجمهور يوم ذاك بحسم اللقاء الذي تحسسه، أي لقاء الله -تعالى-.

[1] مسند الإمام الدارمي، مج 1، ص 127.

[2] سنن ابن ماجه، مج 4، ص 243.

3-5 أسلوب الأمر والنهي والتوكيد والشرط

أ_ **الأمر**: الأمر في هذه الخطبة طلب لأمر شرعي وحكم لا يقبل المناقشة في أخذه ورده، ولكنه جاء للأخذ به وتنفيذه، مثال ذلك: " اسمعوا قولي " [1] ، تحديد غاية الخطاب في قوله – صل الله عليه وسلم -: " فمن كانت عنده أمانة فليؤديها إلى من ائتمنه عليها..."[2].

ووجب أداء الأمانة و"الفاء جمعت بين الشرط وجوابه بضرورة التزام الأمانة ووجوب أدائها إلى من ائتمنه.

ب_النهي: إن صل أسلوبي الأمر والنهي بالإقناع وثيقة لأنهما يحملان معنى الدعوة، ويهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين تحدده وصايا الخطبة ومواعظها وتشريعاتها، ومن أمثلته: " لا يحل لأمرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ..." [3].

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، مج 2، ص 504.

[2] نفسه، ص 504.

[3] نفسه، ص 504 ,

ج_ أسلوب التوكيد:

التأكيد فيه إشارة إلى أن المؤكد أمر هام يستدعي من المتلقي تأملا وإجالة فكره بمثابة دعوة للالتزام بالمضمون المؤكد، والمؤكِدات هنا أداتها الحرف: " إنّ " في قوله – صل الله عليه وسلم –: " إن ربا الجاهلية موضوع " [1] ، تأكيد لرفض السياسية الجاهلية الاقتصادية مهما كان زمنها.

د_ أسلوب الشرط:

ومثال ذلك في قوله – صل الله عليه وسلم –: " من يهد لله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له " وقوله:" فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن.."[2].

ويتكرر هذا الأسلوب في الخطبة ثماني مرات، فالسماع شرط البيان في قوله – صل الله عليه وسلم – " اسمعوا مني أبين لكم « [3] ، والأمانة من أخص صفات المسلم.

---

[1] صحيح مسلم، مج 2، ص 890.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، مج 2، ص 503_ 504.

[3] جمهرة خطب العرب في العصور الزاهية، مج 1، ص _ 156.

أسلوب الاستفهام: يخلق الاستفهام جوا من التفاعل بين المتكلم والمخاطب، أي بين السائل والمسؤول، لذلك ركزت الخطبة على هذا الأسلوب، فمثلا في قوله – صل الله عليه وسلم –: " ألا هل بلغت؟ [1]«، مستفهما من الناس عما إذا بلغتهم المضامين من غير لُبس أو غموض أو تقصير، وأتى الاستفهام مقيما الحجة على السامعين والمخاطبين في كل زمان ومكان.

4. منزلة خطبة حجة الوداع وأثرها

أ_ منزلتها

يجب الأخذ بالحسبان أن للمستمع معرفة مسبقة عن طبيعة الخطاب النبوي بصفة عامة، وعن خطبة حجة الوداع خاصة، كمعرفة سياقها التاريخي وتخريجها ومضمونها، ومكان إلقائها وغيرها من المعلومات حول الخطبة، فخطبة حجة الوداع هي آخر خطب النبي – صل الله عليه وسلم – ألقاها يوم عرفة في مكة المكرمة، حيث بين فيها مقاصد الشريعة الإسلامية للنّاس، إن هذه المعلومات الموجودة عند المستمع سلفاً تؤدي إلى الانسجام بينه وبين النّص، حيث يبني انسجامه من خلال ملء الفراغات للوصول إلى دلالته.

[1] نفسه، مج 1، ص 157.

ب_ أثرها في النفوس:

من خلال هذه الخطبة يتضح لنا أن النبي – صل الله عليه وسلم – يخاطب الأمة، ومثال ذلك قوله – صل الله عليه وسلم –: " أيها الناس "[1] ، فالنبي – صل الله عليه وسلم – يخاطب الأجيال الحاضرة السامعة والقادمة إلى يوم القيامة، أي الأجيال المتلاحقة مؤكداً ذلك في قوله – صل الله عليه وسلم –: " ليبلغ الشاهد الغائب " [2] ، ومن أثر هذه الخطبة على المتلقي التأمل في استفتاح الرسول – صل الله عليه وسلم – في خطبته الشريفة، بما هو مخالف لعادات الجاهلية حيث بدأ بالحمد والاستغفار، وفي هذا ردٌّ الفضل إلى

صاحبه ونسبة النّعمة إلى منعمها، وردً الهداية إلى الله [3].

[1] نفسه، مج 1، ص 157.

[2] نفسه، مج 1، ص 157.

[3] ينظر: يحي زرقة – محمد عزاوي، الخطاب الإسلامي وآثره في المتلقي، السداسي الأول 2020، مجلة (اللغة– الكلام)، دار النشر: مخبر اللغة والتواصل– المركز الجامعي بغليزان / الجزائر، العدد 03، ص 281 _ 282.

خاتمة

في ختام محطة بحثنا، خلصنا أن الخطابة في أوجز تعريفاتها وأعم، أنها فن مشافهة الجمهور واستمالتهم، ومن ثما كانت مصباح دجى، ونبراس هدى، في أيدي الرسل والأنبياء، والخطباء العلماء والقادة الأمم والأذكياء، بها يسهل لهم تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، وإصلاح أمور الناس في دنيهم ودنياهم، كما يلجئ إليها في مدلهمات الأمور وجلل الخطوب، حين يدب الخلاف وتتنازع الأحلاف، وتشتعل الفتن وتكثر المحن، حيث تدعو إليها جميع ضرورات الحياة، لأنها تدور مع تقلبات الدهر وتصاريف الزمان، وكان أصل هذا العلم، موجود قدم الانسان، واستقراره الأوطان.

فلما سطعت شمس الإسلام على رحاب الجزيرة، واستنار بها كل بيت وقبيلة، اعتمد عليها النبي صل الله عليه وسلم في تبليغ الدعوة، وتدفقت فصاحته في خطبه الزهراء، التي مكنت لهذا الدين، فأرشدت كل ضال مسكين، فجمعت القبائل المتناحرة، وجعلتها أمة واحدة متصالحة، فكانت خير أمة أخرجت للناس، وفي هذا المجال أينعت الخطابة ولمعت بين بريق السيوف، وطبعت بطابع الإسلام فأتنصت لها الآذان، ووعتها القلوب وأدركتها الأفهام.

أما بلاغته عليه الصلاة والسلام، فلقد رأيناها بجلاء، في خطبته العصماء الغراء، واستخلصنا الأساليب منها وحسن البيان، والإعجاز اللغة وفن صناعة الكلام، وهذا غيض من فيض، ولا غرر فقد أوتي جوامع الكلم وخواتيمه، كما قال عن نفسه–صل الله عليه وسلم–"أدبني ربي فأحسن تأديبي".

فقد تكلم عليه الصلاة والسلام في خطبة حجة الوداع ، فأجمل فيها وفصل، وخص وعم، تكلم عن توحيد الباري والإيمان به، فهو أعظم الغايات، وشرف المؤمن إلى المممات، تحدث عن المال العام، وحرم الربا، وذكر حقوق المرأة والدفاع عنها، والوصية بكتاب الله، وحفظ الدماء والأعراض وأن الناس أمام الدين سواسية، لا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى ،فأبطل بذلك كل عادات جاهلية العرجاء، ونعراتها الجوفاء.

عالج الرسول صل الله عليه وسلم كل هذا ببلاغته المعهودة، في دقائق معدودة، بكلمات مقصودة، في أعظم خطبة ما سمعت البشرية مثلها، بأسلوب خطابي موجز يجل عن الوصف، شملت هذه الخطبة قضايا العالم، التي تهم الإنسان على مر الأيام، وتتابع الأعوام، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فنقلها العلماء وأنصت لها الحكماء، ووعاها الخطباء.

ولابد هنا أن نشير إلى ملمح هام، وأصل عَقَدي عام، وهو أن التعامل مع خطب الرسول – صل الله عليه وسلم –، ليس كالتعامل مع سائر النصوص البشرية، وهذا جزء من عقيدتنا الإيمانية، فلا يمكن أن ندرس مثل هذه النصوص بهدف التقليد، أو النقد، أو التقييم، وذاك أنها ليست كغيرها، بل نقف على ما فيها من جمال أسلوب وكمال بلاغة، وروعة خطابة، وقوة إقناع وتأثير، وسلاسة لغة ودقة تعبير، لأن كلامه وخطبه – عليه صلاة والسلام– هي المثال المحتذى والكمال مقتدى، بل هي أشرف أنواع النثر، وفضائلها تجل عن الحصر.

وفي آخر سطور هذه الدراسة، حاولنا قدر المستطاع بذل الوسع، بجد واهتمام، الذي ينبغي أن يتصف به طالب العلم الهُمام، تعريف ماهية الخطابة وأنواعها ومراحل تطورها، جاهلية وإسلاما، ثم تطرقنا إلى أعظم خطبة في البشرية، وما فيها من أساليب لغوية نبوية، في بحث بسيط وليس في بابه بفريد، وهذا جهد مُقل، قد يعتريه نقص وتقصيرٌ واقتطاع، ونسأل الله العليم، القبول والتمكين، وأن يكون هذا البحث ذا منفعة للطلاب والدارسين، والحمد لله رب العالمين، لله در القائل:

أسيرُ خلفَ رِكابِ القومِ ذا عَرَجٍ مؤمِّلا جَبْرَ ما لاقَيتُ مِن عِوَجِ

فإن لَحِقْتُ بهم مِن بَعدِ ما سَبَقوا فكم لربّ السماءِ في الناسِ مِن فَرَجِ

وإنْ ظَلَلتُ بقَفْرِ الأرضِ منقطِعًا فما على أعرجٍ في ذاك مِن حَرَجِ

المصادر والمراجع

قائمة المصادر

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

قائمة المصادر:

1. أبو إسحاق بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب – مطبعة الرسالة، القاهرة – مصر، 1389 هـ - 1969 م.
2. أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي ابن الأحنف اليمني، البستان في إعراب مشكلات القرآن، تح: أحمد محمد عبد الرحمن الجندي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1439 هـ – 2018.
3. أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي ابن الأحنف اليمني، البستان في إعراب مشكلات القرآن، تح: أحمد محمد عبد الرحمن الجندي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1439 هـ – 2018 م.
4. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور الزاهية، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، أحمد مختار عبد الحميد عمر، 1429هـ – 2008 م، كتاب معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، عالم الكتب، القاهرة.
5. أرسطو طَالِيس، الخطابة، تر: عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، دار البيضاء - المغرب، 2008.
6. أحمد شوقي، شوقيات، مؤسسة هنداوي، القاهر – مصر، 2021.
7. أحمد ابن مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان المعاني البديع، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ط 3، 1414 هـ _1993 م.
8. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: أحمد شاكر، الدار الحديث، القاهرة – مصر، ط 1، 1416 هـ _ 1995 م
9. إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط 1، 1419 هـ.
10. الحوفي أحمد محمد، فن الخطابة، نهضة مصر.
11. الحاج عين الحق، نووي، مدخل في علم الخطابة، 2017.
12. الحسن علي بن سليمان المرداوي، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تح: عبد الرحمن الجبرين وعوض القرني وأحمد السراح، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية ط 1، 1421 هـ- 2000 م.
13. أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، صحيح ابن حبان: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع، تح: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، 1433 هـ - 2012 م
14. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الزمخشري ، أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، ط 1، 1996.
15. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الزمخشري، كتاب العين، مج 4، دار ومكتبة الهلال.

قائمة المصادر

16. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 1418 هـ.
17. إسحاق بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب – مطبعة الرسالة، القاهرة – مصر، 1389 هـ – 1969 م.
18. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ط 1 ،1415 هـ.
19. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف – مصر، ط1، 1960 _ 1995 م،
20. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، 1946.
21. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 1418 هـ.
22. أبو عبد الله، محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، سنن ابن ماجه، تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط 1، 1430هـ – 2009 م.
23. عائض بن عبد الله القرني، مملكة البيان، دار ابن حزم، الإسكندرية _ مصر، ط1، 1422 هـ -2001
24. عائض عبد الله القرني، ملهم العالم، مكتبة الرشد، الرياض _ السعودية، 1443هـ، ص450
25. عبد العاطي محمد شلبي، عبد المعطي عبد المقصود، الخطابة الإسلامية، المكتب الجامعي الحديث، 2006.
26. علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، لبنان – بيروت، ط 1، 2000 م.
27. عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة واعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط 2، 1407 هـ- 1976 م
28. علي صبح وعبد العزيز شرف وعبد المنعم خفاجي، الأدب الإسلامي المفهوم والقضية، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط 1، 1412 هـ – 1992 م
29. محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، دار الأندلس، حائل – السعودية، ط 5، 1422 هـ – 2001 م.
30. محمد سعيد رمضان البوطي، مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول، دار المعرفة، دمشق_ سوريا، ط 1 ،1402 هـ.
31. محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تح: عادل أحمد عبد الواحد علي معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1414.

32. أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم ابن منظور، 1414، لسان العرب، مج 1، ط 3، دار صادر، بيروت – لبنان.

33. أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني، تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غني، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط 1، 1418 هـ - 1997 م.

34. أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - عبد السند حسن يمامة، دار هجر، ط 1.

35. أبو زهرة محمد، الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب مطبعة العلوم، ط 1، 1353 هـ - 1934 م.

36. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، مسند الإمام الدارمي، تح مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، ط 1، 1436 هـ - 2015 م.

37. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة – مصر.

38. محمد الخضر حسين، الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط 1، 1433 هـ.

39. محمد الطاهر ابن عاشور، أصول الإنشاء والخطابة، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط 1، 1433 هـ.

40. محمد الغزالي السقا، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، ط 1، 1427 هـ، ص 451.

41. أبو عُثْمان عُمَرُو بن بَحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، بيروت لبنان ،1968.

42. أبو محمد عبد الله، بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية -بيروت لبنان، 1418 هـ.

43. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط، 2، 1387 هـ - 1967 م.

44. محمد خضر، أدب صدر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1402 هـ - 1981.

45. أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1375 هـ، _ 1955

46. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق _ سوريا، ط 5، 1414 هـ _ 1993 م.

47. محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، دار الأندلس، حائل – السعودية، ط 5، 1422 هـ - 2001.

الدوريات والمجلات

1_ عبد القادر شاكر، تاريخ الخطابة عن اليونان والعرب، السداسي الثاني 2011، مجلة اللغة العربية، فصلية (نصف سنوية)، دار النشر: المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.

2_ يحي زرقة – محمد عزاوي، الخطاب الإسلامي وآثره في المتلقي، السداسي الأول 2020، مجلة (اللغة- الكلام)، دار النشر: مخبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي بغليزان / الجزائر.

المواقع الإلكترونية

_ مناهج جامعة المدينة العالمية، الخطابة، ا المرحلة: بكالوريوس، الناشر: جامعة المدينة العالمية، المملكة العربية السعودية، كود المادة: LARB ٤٢٢٤، ص 14، تاريخ الدخول إلى الموقع 2023/04/20، الساعة 11:18 صباحا، عنون الموقع ./https://dorar.net

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
بسملة	
إهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	**أ_ث**
المدخل	
تمهيد :	**06**
1. الخطابة	**07**
1_1 الخطابة في اللغة	**07**
1_2 الخطابة في الاصطلاح	**10**
1_3 تعريف الخطيب	**13**
2.تاريخ الخطابة (نشأتها عند اليونان والرومان)	**13**
الفصل الأول	**18**
1.الخطابة قبل الاسلام	**18**
1-1 الخطابة قبل الإسلام	**18**
1_2 نماذج من خطب الجاهلة	**19**
1_3 أشهر خطباء الجاهلية	**21**
2. الخطابة في صدر الإسلام أنواعها وخصائصها	**22**
1_1 الخطابة في الإسلام	**22**
1_2 بلاغة وخطابة النبي صل الله عليه وسلم	**22**
1_3 شجاعته في المعارك وثباته صل الله عليه وسلم	**26**
3. أنواع الخطابة وخصائصها	**28**
3_1 أنواعها (دينية، الجهاد، النكاح، الوفود، سياسية)	**28**
3_2 خصائصها (اللفظية ، المعنوية)	**36**

فهرس المحتويات

الفصل الثاني	**39**
تمهيد	**39**
1. خطبة حجة الوداع	**40**
1-1 إعلان النبي صل الله عليه وسلم رغبته في الحج	**40**
1-2 أشهر الروايات الواردة في خطبة حجة الوداع	**41**
1_3 شرح مصطلحات الخطبة	**52**
2. أهمية خطبة حجة الوداع وموضوعاتها	**54**
3.أساليب وخصائص خطبة حجة الوداع	**59**
3_1 أسلوب الاستشهاد	**59**
3_2 أسلوب المحاورة (موضوعها وأطرافها)	**60**
3_3 أسلوب الإيجاز والتأثير	**61**
3_4 أسلوب التكرار والنداء	**62**
3_5 أسلوب الأمر والنهي والتوكيد والشرط	**64-63**
4.منزلة خطبة حجة الوداع و أثرها	**66-65**
خاتمة	**69_68**
المصادر	**71**
فهرس المحتويات	**76**
ملخص المذكرة (العربية، الإنجليزية، الفرنسية)	**79**

ملخص

Abstract

ملخص المذكرة

عنوان المذكرة: الخطابة في صدر الإسلام (خطبة حجة الوداع أنموذجا)

الاسم واللقب: مصطـفى زغــودي **المؤطر: جلول بن شاعة**

مخلص: تناولت هذه الدراسة الموسومة بـ: الخطابة في صدر الإسلام (خطبة حجة الوداع أنموذجا) الخطابة كفن نثري هام، نشأت في العهد اليوناني والروماني ثم تطورت، إلى العصر الجاهلي، وقد ركزنا فيها على فترة صدر الإسلام بالذات وما للخطابة من خصائص فنية وبلاغية تأثيرية، أما الجانب التطبيقي فسلطنا فيه الضوء على: خطبة حجة الوداع، حيث أنها خطبة عالمية وقعت في السنة 10 للهجرة، حضرها أزيد من مئة ألف حاج، وقد عالج فيها الرسول صل الله عليه وسلم ببلاغته المعهودة، في دقائق معدودة، بكلمات مقصودة، أعظم قضايا البشرية، بأسلوب خطابي يجل عن الوصف.

كلمات مفتاحية: الخطابة، صدر الإسلام، خطبة حجة الوداع، تاريخ الخطابة وشأتها، موضوعات الخطابة وخصائصها.

The title of the note: **Rhetoric in the Islamic era** (**the sermon of the farewell argument as a model**)

Name **and First name: Mustapha ZEGHOUDI** Directed by: **Jaloul BenChaa**

Abstract: this study, tagged with: rhetoric in the breast of Islam (the sermon of the farewell argument as a model), dealt with rhetoric as an important prose art, originated in the Greek and Roman era and then developed, to the pre-Islamic era, in which we focused on the period of the breast of Islam in particular and the artistic and rhetorical characteristics of rhetoric, as for the Applied side, we highlighted the sermon of the farewell argument, as it is a global sermon that took place In the 10th year of the Hijrah, attended by more than a hundred thousand pilgrims, in which the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) addressed with his usual eloquence, in a few minutes, with deliberate words, the greatest issues of humanity, in a rhetorical style that defies description.

Key words: Rhetoric, Rhetoric in the Islamic era, Rhetoric topic, The Farewell Sermon, The history of rhetoric.

Le titre de la note : **La rhétorique à l'ère islamique (le sermon de l'argument d'adieu comme modèle)**

Nom et prénom : **Mustapha ZEGHOUDI** Encadreur : **Jaloul BenChaa**

Résumé: cette étude, étiquetée avec: rhétorique au sein de l'Islam (le sermon de l'argument d'adieu comme modèle), traitait de la rhétorique en tant qu'art important de la prose, originaire de l'époque grecque et romaine puis développée, jusqu'à l'ère préislamique, dans laquelle nous nous sommes concentrés sur la période du sein de l'Islam en particulier et les caractéristiques artistiques et rhétoriques de la rhétorique, quant au côté appliqué, nous avons mis en évidence le sermon de l'argument d'adieu, car il s'agit d'un sermon mondial qui a eu lieu la 10ème année de la Hijra, auquel ont assisté plus de cent mille pèlerins, dans lequel le Prophète (paix et bénédictions d'Allah soient sur lui) a abordé avec son éloquence habituelle, en quelques minutes, avec des mots délibérés, les plus grandes questions de l'humanité, dans un style rhétorique qui défie toute description.

Mots clés: Rhétorique, Rhétorique à l'ère islamique, Sujet rhétorique, Le Sermon d'adieu, L'histoire de la rhétorique.